مجلـة الآداب للعلوم الإنسـانية

العدد 6، مايو 2023، ص: 1- 28

Arts and Humanities Journal

Issue 6, May 2023, Page No: 1-28

حجاجية أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم

(دراسة تداولية مقاربة)

الباحثة رقية أحمد قائد حسن

المدرس المساعد للبلاغة والنقد

كلية التربية جامعة تعز

roqaiii5559@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 8/ 1/ 2023 **تاريخ قبوله للنشر:** 25/ 1/ 2023

حجاجية أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم

(دراسة تداولية مقاربة)

الباحثة/ رقية أحمد قائد حسن

المدرس المساعد للبلاغة والنقد

كلية التربية جامعة تعز

الملخص:

يقوم هذا البحث على دراسة أسلوب الأمر بوصفة تقنية حجاجية بلاغية ساهمت في توصيل التوجيهات الأخلاقية في الخطاب القرآني إلى المتلقي، وذلك من خلال بيان الدور الإقناعي الذي قام به أسلوب الأمر في توصيل التوجيهات من المتكلم إلى المتلقي، وإقناعه بفحواها دون إكراه.

ويهدف هذا البحث إلى بيان الأبعاد الحجاجية لأسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم؛ وذلك من خلال الكشف عن سمات البنية الحجاجية لهذا الأسلوب، وبيان قيمته الحجاجية كتقنية من تقنيات الإقناع، والتي تتجلى في طريقته التعبيرية عن القضايا والأطروحات الموجهة للمتلقي، والكشف عن السمات البلاغية والتداولية له؛ من خلال اتباع أدوات المنهج التداولي في دراسة مقاربة تتفق وطريقة الأسلوب القرآني في التعبير.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، ومهاد نظري، ومبحثين، فيها بيان للمقاصد الحجاجية لأسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم، وتوضيح التوجيهات الإلزامية والإنجازية لهذا الأسلوب، باعتبار أنه يؤدي وظيفة حجاجية تتضح من خلال مجموعة من القيم التي تحضر بشكل قوي وفعال في الخطاب الاخلاقي، حيث تشكل القيم إحدى عناصر مقدمات الحجاج في القرآن؛ لاعتمادها على الاستدلال العقلي من جانب وعلى التأثير العاطفي والبلاغي من جانب آخر، تلك القيم الاخلاقية السامية التي عبر عنها أسلوب الأمر كموجهات حجاجية تحاول الدفع بالمتلقي نحو اختيارات معينة تجعله يقبل بصحة الدعوى الموجهة إليه.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الأخلاقي، أسلوب الأمر، الفعل الكلامي، الحجاج، التقنية البلاغية.

The imperative form as an argumentative technique of persuasion in communicating moral directives in the Quran: A pragmatic study

By

Researcher: Roqyah Ahmed kaid Hasan

Assistant Lecturer, Department of Arabic Language,
College of Education, Taiz University.

Abstract

This research talks about the imperative form as a rhetorical argumentative technique that contributed to communicating the moral directives in the Quran discourse to the recipient, by showing the persuasive role that the imperative form played in communicating the directions from the speaker to the recipient and convincing him of their content without coercion.

This research aims to clarify the argumentative dimensions of the imperative form in the ethical discourse in the Holy Qur'an. This is done by revealing the features of the argumentative structure of this method, and showing its argumentative value as a technique of persuasion, which is evident in its expressive method of issues and theses addressed to the recipient, and revealing the rhetorical and deliberative features of this method by following the tools of the deliberative method in studying an approach that is consistent with the method of the Qur'an method in expression.

The nature of the research necessitated that it consist of an introduction, a preamble, and three topics, in which there is a statement of the argumentative purposes of the imperative form in the ethical discourse in the Holy Qur'an, and the clarification of the obligatory and achievement directives for this method, given that it performs an argumentative function that is evident through a set of values that are present in a strong and effective manner in the ethical discourse. Where the values constitute one of the elements of the premises of arguments in the Qur'an: due to its reliance on mental inference on the one hand, and on emotional and rhetorical influence on the other, those sublime moral values expressed by the imperative form as argumentative guides that try to push and the recipient towards certain choices that make him accept the validity of the directed claim.

Keywords: moral discourse, Imperative, verbal action, pilgrims, rhetorical techniques.

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي ميز الإنسان بالعقل والبيان، وأنزل القرآن لهدايته والسير به إلى بر الأمان وبعد:

فيعد النص القرآني نصًا مُلهِمًا صالحا لكل الدراسات البلاغية والحجاجية، لتعدد محتوياته وتنوع أساليبه وطرقه المختلفة في التعبير، وهو نص يحمل دلالات حجاجية شاملة بفعل طاقته الحوارية والتفاعلية التي رسمها من خلال العلاقة بين الخالق والمخلوق.

وقد رسم النص القرآني ملامح هذه العلاقات من خلال مجموعة من الأفعال الكلامية التي تشتمل على التوجيهات والأوامر التي تضمنها بين طياته، إذ جاءت متفاعلة مع البُعد الحجاجي التأثيري المُراد إيصاله إلى المتلقي بواسطة مجموعة من الأوامر والتوجيهات الهادفة إلى نشر قيم الأمن والسلام والرحمة والمحبة والعدل بين الناس.

من هنا جاءت دراستنا لهذا الموضوع الموسوم بـــــ"حجاجية أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم (دراسة تداولية مقاربة).

-طبيعة البحث:

يعد هذا البحث جزئية من بحث كبير مكون من أربعة فصول والموسوم بـــــ:" تقنيات الحجاج البلاغي في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم." وهو رسالة دكتوراه للباحثة وهذا البحث مستل منها؛ كون نشر بحث محكم أحد شروط المناقشة، وقد تناول هذا البحث حجاجية أسلوب الأمر بوصفه تقنية بلاغية في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم، وتأتي أهمية هذا البحث من أنه يكشف عن الاستراتيجيات الحجاجية التي يوظفها المتكلم لإقناع المتلقي بفحوى الخطاب وأهميته.

-أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان قيمة أسلوب الأمر ودوره الحجاجي في الخطاب الأخلاقي في القرآن، وعده تقنية بلاغية تستخدم لإقناع المتلقي عن طريق قيامه بالالتزامات الأخلاقية التي تجعل منه شخصًا فاعلًا في المجتمع، بالإضافة إلى بيان ارتباط هذا الأسلوب بتقنية الأفعال الكلامية وبيان قيمتها الإنجازية لحصول المنفعة للفرد والمجتمع.

-منهج البحث:

يقوم هذا البحث على آليات المنهج التداولي الذي يعد من أهم المناهج النقدية التي تهتم بالقراءة النصية بالدرجة الأولى، والتي سيتم فيه تناول النص القرآني عن طريق الدراسة المقاربة التي تتناسب وطبيعة السياق القرآني.

- مشكلة البحث:

تتجلى في عدة تساؤلات نوردها على النحو الآتي:

ما الدور الحجاجي لأسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن؟ وما صيغ الأمر الواردة فيه؟ وما الأبعاد الحجاجية الناتجة عنها؟ وما النتائج المترتبة على تلك التوجيهات في تنمية أخلاق الأسرة المسلمة؟ وما مدى تأثيرها على الغير؟

- الدراسات السابقة:

على الرغم من تعدد الدراسات الحجاجية الحديثة لظاهرة الأفعال الكلامية وتطبيقاتها على النص القرآني، إلا أننا لم نجد من درس حجاجية أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن وتناوله بالبحث والدراسة والتحليل على النحو الموجود في هذا البحث.

ومن الدراسات التي تناولت أساليب الحجاج في القرآن من الوجهة التداولية ما يأتي:

1- التوجيه الدلالي للأمر في القرآن الكريم، (دراسة نحوية بلاغية تداولية)، إعداد: عبد المجيد بن يحيى، إشراف الدكتور/ محمد بن يحيى، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2018م.

2- أساليب الحجاج في القرآن الكريم من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس: دراسة تحليلية، إعداد: آمنة عوض الكريم محمد، إشراف الدكتور/ سيف النصر عبد الله الكباشي، رسالة ماجستير، جامعة أم ردمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، 2012م.

3- دور الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني: سورة غافر أنموذجًا، إعداد: هتهات حسن، إشراف الدكتور/ زغطوط حسين محمد، رسالة ماجستير، جامعة قصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2015م.

4- أفعال الكلام في سورة المجادلة: (دراسة تداولية). إعداد: عزيزة زمولي، إشراف الدكتور/ خالد بن عميور، رسالة ماجستير، جامعة محمد الصديق بن يحيى–جيجل – الجزائر، 2020م.

5- مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني سورة الكهف أنموذجًا، إعداد: خلوقي قدور، إشراف الدكتور/ بن عيسى عبد الحليم، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2015م.

- خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من: مقدمة، ومهاد نظري، ومبحثين، يتضمن المبحث الأول الاطار النظري، وفيه تعريف بأسلوب الأمر وصيغه وارتباطه بالأفعال الكلامية في الدراسات البلاغية والتداولية الحديثة، أما المبحث الثاني فيتحدث عن: الجانب التطبيقي لأسلوب الأمر ودوره الحجاجي في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم.

المهاد النظري:

حفل الخطاب القرآني بمنظومة أخلاقية متكاملة، سعت لتغيير الكثير من السلوكيات الإنسانية الخاطئة عن طريق التوجيهات المذكورة في مواضع مختلفة ومتفرقة من الكتاب الكريم، عالج من خلالها قضايا أخلاقية واجتماعية وإنسانية بالغة الأهمية، وسعى فيها إلى تهذيب النفسية البشرية وتوجيهها التوجه الأمثل لطريق الحق والصواب، ورسم من خلالها مستقبلًا إيجابيًا يسعد فيه الإنسان، يضمن له تزكية الباطن ويحميه من الأذى المادي والمعنوي، وقد تجلى ذلك من خلال مجموعة من الأساليب البلاغية سعت بدورها إلى بيان القيم الأخلاقية العليا المتمثلة في الحث على مكارم الأخلاق التي عادة ما قُرنت في الخطاب القرآني بالتقوى، والعدل، والإحسان والبر، هذه الكليات الأخلاقية التي توصل الإنسان إلى أعلى ما يمكن من الطمأنينة وراحة الضمير في علاقته مع الخالق والمخلوق.

ومن هذه الأساليب المتداولة أسلوب الأمر الذي حفل بالعديد من التوجيهات الأخلاقية التي وُظفت لإقناع المتلقي بما يعرض عليه، وصولا به إلى الاطمئنان النفسي.

ويرتبط أسلوب الأمر في الدراسات التداولية والبلاغية الحديثة بنظرية الأفعال الكلامية حيث "تعد نظرية الفعل الكلامي في العصر الحديث من أهم الأبحاث بل من أهم محاور التداولية باعتبارها أعطت دورا ومكانة للغة وأفعالها الكلامية في صنع ونقل المعاني من مستوى التلقي إلى مستويات الفعل والتجسيد، واكتسبت طابعا خاصا حينما سعت إلى تحقيق أبعاد حجاجية، بناء على كفاءة المتخاطبين، طالما أن كل مخاطب يصبو إلي إحداث التأثير، تأسيسا لبناء حجاجي في كلامه؛ ذلك أن الحجاج ليس سوى عمليات ترمي إلى تحقيق الاستمالة Adherence، لما يعرض على المتلقي من دعوى والتأثير العملي في سلوكه، وبالجملة إقناعه."[1]

وتعرف الأفعال الكلامية بأنها أفعال إنجازيه ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في مقام معين، وذلك بكلمات يعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل.

وتستعمل أفعال الكلام في مواقف تعبيرية مختلفة حسب السياق الذي ترد فيه، كالاستفهام، أو الأمر، أو النهي ... وتقتضي توافر شرطين أساسيين لتحقيقها وهما: المعرفة اللغوية والاستعمال المناسب للغة حسب المقام.[2]

وتتنوع الأفعال الإنجازية فمنها ما يكون في القول مثل اخرج ادخل اسجد اعمل صل .... ومنها ما يكون في الحدوث مثل قوله أنا أذكى منه لأني حللت المسألة ولم يستطع هو أن يحلها، ولأني أجبتك على سؤالك ولم يجبك أحد عليه، وذلك لاقتناعه أنه ذكي، وفي ذلك تضخيم الذات وإظهارها وهذا النوع من الأفعال يسعى لكشف النوايا والمقاصد وذلك من خلال تلفظ المتكلم وإيمانه بقدراته.

ويتم تحليل أفعال الأمر وأساليبه عن طريق المنهج التداولي الذي يعد من أهم المناهج الحديثة التي تعتمد على طائفة من الآليات الإجرائية في قراءة النصوص، وهي أقرب ما

تكون مزجًا بين البلاغة التقليدية والبلاغة الجديدة، "فأفعال الكلام -وهي أهم مقولات هذا المنهج- تضم الحكميات، والتنفيذيات، والوعديات، والسلوكيات، والعرضيات، والتأكيديات، والتوجيهيات، والإلزاميات، والتعبيريات، والتصريحيات، يركز عليها دارس الكلام من وجهة تداولية لاستكشاف أبعاد النص التواصلية."[3] وهذه الآليات طورها أوستن حين اثبتت عدم فاعليتها في التحليل التداولي ليحل محلها تقسيم آخر يتضمن فعل القول، وفعل الإسناد، والانسجام، والفعل المتضمن في القول، إضافة إلى الفعل الكلامي المباشر، وفعل التأثير، والمقام والقصد وغيرها.

ويرتبط المنهج التداولي ببيان وظيفة الخطاب الحجاجي التي تعتمد اعتمادًا كليًا على: "الأدوات اللغوية والأساليب البلاغية من أجل بيان المعنى المطابق لمقاصد المتكلم، والمراد تبليغه للمخاطب أو إقناعه به، أي من أجل أداء وظيفة إقناعيه استدلالية."[4]

حيث "يتألف الخطاب الحجاجي التداولي من استراتيجيات إقناعية تعد عمود التشكيلة البلاغية، في حين أن التشكيلة البلاغية تمنح لتلك التقنيات ما يصلها بالواقع، فبينهما من القرابة ما بين الاعتقادين الذاتي والموضوعي، وما بين الإقناع والتأثير من ضبابية تُميز وإن أقيم على أسس نظرية كما جاء في قول بيرلمان وتيتكا: "نقصد بالحجاج المؤثر ذلك المتوجه إلى مستمع خاص وبالإقناعي المصوب نحو كائن عاقل، لذا فإن الفرق دقيق جدًا ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساسًا" فلا غرابة بأن يقع اللوغوس في الحدود المتاخمة لكل من البلاغة والجدل، وفي التفاوت بين جانبيه (الجانب الفعلي والجانب الإسقاطي) وما لهما من أثر في كثير من الخلافات بين المجتمعات الإنسانية."[5]

ويتضح مما سبق أن الحجاج يستند إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي، بحسب الموقف الكلامي، ما يكسب هذه الأفعال إضافات اجتماعية لها حضورها في إطار العلاقات بين الفاعلين في الخطاب؛ وبالتالي "تتجاوز اللغة وظيفة الإخبار لتصبح نشاطًا اجتماعيًا على حسب رأي ديكرو، وتندرج الخطابات الحجاجية المختلفة في صميم نظرية الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية وأبنية أقوالها، وتهدف بذلك إلى إحداث تغيير في سلوك المتلقي، مادام أننا نتكلم بهدف التأثير، وأن بنية اللغة وبنية الفكر واحدة، ومن ثم تصبح اللغة أداة تواصل وتخاطب، ووسيلة للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية."[6]

المبحث الأول:

القيمة الحجاجية لأسلوب الأمر في الدراسات البلاغية واللغوية

يشكل فعل الأمر بعدًا حجاجيًا بوصفه قاعدة للإنجاز وعلى كثرته في الخطاب الأخلاقي وشيوعه فإن قيمته اللغوية والبلاغية تكمن في توصيل المعنى، وهو إن دل فإنما يدل على استمرارية الحدث والزمن، ولعل مرد ذلك إلى التعليم والاعتبار، وبالنتيجة التأثير والإقناع.

ويهدف أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم إلى إحداث الأثر في قيم ومبادئ المتلقي وتغييرها للأحسن وذلك لبناء شخصية الفرد المسلم وتزكيته من خلال نشر قيم العدل، والتكافل، والتسامح، والتعاون، والمحبة، على صعيد الأسرة والمجتمع ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.[7]

والأمر هو: "صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الاستعلاء والإلزام."[8]

ويُراد بالأمر صيغة الطلب عن طريق الاستعلاء، ويشترط فيها "أن لا يراد بها التهديد ونحوه، والاستعلاء في الطلب يعني علة الطالب نفسه عالية وإن لم يكن في الحقيقة كذلك؛ ليخرج به الدعاء والالتماس سواء أكان هذا الاستعلاء معتبرًا عند الله، نحو علو العالم على الجاهل، أم كان العلو معتبرًا عند الناس نحو علو الغني على الفقير ونحوهما".[9]

على أن هذا الاستعلاء قد يجانب معناه "ليفارق دلالته الحقيقية؛ فيفيد عددًا من المعاني المختلفة في مقامات مختلفة، وعلى وفق مقاصد المتكلم وعلاقته سامعه."[10]

ويشتغل أسلوب الأمر على معان متعددة تتبين من خلال ورودها في السياق، ويكون من الأعلى إلى الأدنى في صيغته العامة وله "صيغة مستقلة بالمخاطب شائعة فيه."[11]

والأمر في القرآن الكريم قد يَرد على سبيل الحقيقة لحمل المخاطب على إتيان المأمورية، كما يأتي على سبيل المجاز فتخرج صيغته عن المعنى الأصلي إلى معان فرعية أخرى كثيرة تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

ومثال الأمر الحقيقي قوله تعالى: ((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)).[12] فهو فعل أمري صريح يحث المسلمين على اجتناب قول الزور لما له من آثار مترتبة على ذلك. أما المجازي فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.[13]

ويرتبط أسلوب الأمر بالأفعال الكلامية من خلال التوجيهات الأمرية أو ما يعرف بالأمريات التي يقصد المتكلم من ورائها جعل المخاطب يقوم بفعل ما وينجزه "وغرضها الإنشائي توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة في المحتوى الاقتضائي فيها، وهو

دائمًا فعل السامع شيئا من المستقبل، ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، والأمر، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح، والتحدي."[14]

ويسمي أوستن فعل الأمر بـ(الفعل القولي) وذلك لأنه يهدف بالأساس إلى "صياغة مواقع جديدة بحضور طرفي الخطاب في الزمان والمكان، ويرتبط الأمر بردة فعل المتلقي".[15] "وحمله على القيام بعمل معين أو نصحه إزاء شيء ما، فهو دقيق في تشخيص من ينفذ الفعل الإنجازي، وتتجلى قيمته الإنجازية بالحدث السلوكي المتحقق أو الذي سيتحقق في المستقبل؛ لأن الأمر فيه ترغيب في الفعل المأمور به ويقتضي الرتبة".[16]

والرتبة هي التي تشيء بالرغبة في تحقيق الأشياء أو الإعلان عن وجودها في المستقبل، ولاسيما إذا توافر للمتلقي القادر على الإنجاز تقوية للحجة، وتحقيقًا لهدفها من أجل التأثير والإقناع.

فـ"فعل الأمر فعل كلامي مباشر ترتبط دلالته بالقول، ويشكل بذلك قوة إنجازيه ترتبط بذلك القول المتولد عن العدول، لغرض تداولي مما يصعد من كفاءة الإنجاز بتحقيقه الأغراض المطلوبة ضمن معناه المحمول فيه كنمط فاعل في المستند الطلبي، وهذا يبين أن الأمر يمثل واقعاً ذهنياً متحققا يكمن في اختيار المنفذ أو من ينتخب للتنفيذ لتحقيقه في الواقع."[17]

وبناءً على ما سبق يتضح أن: لأفعال الكلامية التوجيهية أو الطلبية (Directives) يكون الغرض الإنجازي منها هو الطلب من المتلقي القيام بعمل ما، وذلك باستخدام الأساليب المؤثرة التي تقنع المتلقي بفعل ذلك، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، وشرط الإخلاص فيها هو الرغبة الصادقة، فالحالة النفسية التي تعبر عنها هي الإرادة والرغبة، فالطلبيات تخلق أسبابا للمخاطب؛ كي يؤدي المطلوب منه، ويدخل في هذا الصنف: الأمر، والنصح، والتشجيع.

فعن طريق الأفعال الدالة على الطلب يحاول المتكلم حمل المتلقي على إنجاز فعل مستقبلي أو الامتناع عنه، فمضمونه يتوقف على تلفظه، وذلك باستدعاء مطلوب بشكل صريح عن طريق صيغ مخصوصة متواضع عليها، أو غير صريح يفهم من السياق، وقد لا يعتمد على الصيغ الصرفية وحدها في تحديده، فيستعان بالسياق والقرائن في ذلك، فضلا عن مرتبة المرسل والمرسل إليه، وهذا مما يدخله في مجال التداولية.

ويكون الفعل في زمن المستقبل والمخاطب قادرًا على تنفيذه ليتحقق المحتوى الاقتضائي، ولعل أكثر أساليب التوجيه ورودًا فعل الأمر، فليست المسألة لغوية صرفة، بل لغوية تداولية، إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل لابد من أن تعضده مرتبة المرسل؛ لأنها هي التي تحول دولة الصياغة من الأمر إلى غير ذلك.

"وبهذا يبدو أن التوجيه باستعمال صيغ الأمر ليس تابعًا للمواضيعة اللغوية فقط، وإنما المعول عليه هو اتفاقها مع سلطة المرسل، بشرط ألا تتعارض مع سلطة أعلى من سلطته."[18] نحو الدين، والقانون، وما في قوتهما.

إن نجاح التواصل بين المتكلم والمتلقي يتحقق من خلال شروط عدة منها:

1- ضرورة وجود علاقة ما بين المتلفظ بهذا الملفوظ -أسلوب الأمر- والمخاطب به، بحيث تسمح للأول بتوجيه الأمر إلى الثاني.

2- ضرورة وجود المخاطب بهذا الملفوظ في وضعية تسمح له بتنفيذ الأمر.

3- ضرورة حصول تصور عن نوعية الأمر في ذهن المخاطب، مع وجود قرائن مرجحة تثبت قدرته على التعرف على المطلوب المقصود.

4- ضرورة كون الشيء المقصود ممكنًا تنفيذه وقت إصدار الأمر.

5- ضرورة توافر المتكلم على قصد وإرادة تحقق أسلوب الأمر.

ويتضح مما سبق أنه يجب على المتكلم أن يلم بلغة المخاطب من جميع الجوانب، وبالاستعمالات الخاصة لتلك اللغة؛ لأن المقام الحجاجي يوجب وجود مجموعة من المعارف المشتركة بين المتكلم والمخاطب لتوصيل الرسالة على النحو الأمثل.

"وللأمر صيغ كثيرة ومتنوعة مباشرة وغير مباشرة تفهم من السياق، فأما المباشرة فتضم: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم الأمر، نحو: سآمرك بالقيام بكذا، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر".[19]

المبحث الثاني:

البعد الحجاجي لأسلوب الامر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم

سيقتصر الإجراء في تحليل الخطاب الأخلاقي على فعل الأمر في صيغة (افعل) لأن هذه الصيغة أقوى من بقية الصيغ كما أن المرسل يلقيها إلى المخاطب آمرًا إياه بإيقاع الفعل فضلاً عن كثرة ورود هذه الصيغة في الخطاب القرآني عامة والأخلاقي خاصة.

وقد ورد أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن في مواضيع متفرقة، عالجت قضايا أخلاقية متنوعة منها قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم ناصحًا ومؤدبًا ابنه ليتحلى بصفة التواضع: ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)).[20]

لقد تجلى البعد الحجاجي لفعل الأمر في الآية الكريمة في أسلوبه التوجيهي الدال على الطلب في الاعتدال في المشي، وخفض الصوت، لما في ذلك من أسر للقلوب وراحة لها، وقبول لتلك السلوكيات التي يحبها الإنسان، بغض النظر عن توجهاته، وفي مقابلته الجانب

الآخر لسوء الأخلاق، وما تتضمنه من صور بشعة تشمئز منها الأنفس؛ ذلك أن النفس البشرية تكره هذه التصرفات وتبغضها، وتصف صاحبها بعدم الحكمة والعقلانية.

إن التحليل التداولي لهذه الآية يتمثل فيما يأتي:

الفعل القولي: مثله قوله تعالى: ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ...)). وهو فعل توجيهي مباشر من الخالق -جل جلاله- إلى عباده وإن كان وروده متعلقًا بنصائح لقمان الحكيمة.

الفعل الإسنادي: أسند الكلام هنا إلى ضمير المخاطب، طالبا منه لا على وجه الإكراه التحلي بمجموعة من الأخلاق الحسنة، التي تمثلت في خفض الصوت، والاعتدال في المشي، وما يترتب عنها من أشياء أخرى تدل على سمة التواضع الآسر للقلوب، فهذه التعاليم الأخلاقية تربي الإنسان، وتعلمه كيفية الاتصاف بالوقار، والسكينة، والتواضع، والاقتصاد في المشي، بحيث لا يكون سريعا مستعجلًا متهورًا ولا بطيئًا؛ لأن المشي خلاف ذلك ينقص من قيمة المرء ومكانته، وقد عُد من الخلق الذميم.

أما **فعل الانسجام**: فظهر في مجموعة من الروابط الوصلية التي تمثلت في حروف العطف، وفي أسلوب التعليل الذي ختمت به الآية. هذه الروابط كان لها الفضل في تحقيق الانسجام، والاتساق بين أجزاء الخطاب، أيضًا كان لأسلوب التوكيد نصيب من تحقيق الانسجام النصي وذلك من خلال ربط الدلالة المعنوية باللفظية، والذي تمثل في قوله تعالى: ((إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)). وقد أدى ذلك إلى حصول العلائق الرابطة بين الجمل في السياق.

القول الإنشائي: وقع القول الإنشائي في أسلوب الأمر الذي يوجه بالتواضع والاقتصاد في المشي، وخفض الصوت، لما لخفض الصوت من مؤانسة ولطف.

الاقتضاء: يتوجب على المؤمن أن يعتدل في مشيه، ويخفض صوته وأن يتحلى بأخلاق القرآن؛ ليرتفع بأعماله.

الفعل الكلامي المباشر: توجيه المؤمن إلى الالتزام بالسلوكيات المهذبة، والأخلاق الكريمة، والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

الفعل المتضمن في القول: يوحي لنا بأن الكبر، والترفع، والغرور، تُشخص كأمراض تظهر ملامحها في المشي والصوت، وهذا أشبه بالجنون والاختلال العقلي، فلا يفعل هذه السلوكيات إلا من بات مخلولًا.

الفعل التأثيري: يبين أن الاتزان في المشيء والصوت المنخفض أقرب إلى قلوب المتلقين، وأشد تأثيرًا عليهم، وأكثر نفاذًا إلى قلوبهم وعقولهم، فالشخص المتزن في سلوكه وانفعالاته أشد إقناعًا وتأثيًرا في الغير؛ لأن رفع الصوت ليس من القيم الحضارية في شيء، وكذلك الإسراع في المشي يبين عاهة صاحبه، ويولد السخرية.

الاستراتيجية الحجاجية: تمثلت في أسلوب الأمر الحجاجي، وذلك بمقارعة التخلي عن السلوكيات التي تظهر الإنسان بمظهر السوء؛ لأن هذه التصرفات تتنافى والعقلانية، وتقلل من شأن الإنسان، وتضعف مكانته الاجتماعية، وتظهره بصورة مكروهة؛ لأن هذه الصفات لا يفعلها إلا من ذهب عقله.

والمغزى الحجاجي من هذا التوجيه، تقويم السلوك الإنساني، والأمر بالتخلي عن صفات الجاهلية، التي تتمثل في التهور، والغضب، ورفع الصوت، وقد جاء التعليل الحجاجي موضحًا بأسلوب التوكيد في نهاية الآية في قوله تعالى:((إن أنكر الأصوات لصوت الحمير))، كون هذا التصرف مثارًا للسخرية.

وفي قوله تعالى: ((وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ، فَٱعْفُواْ واصفحوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ، إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)).[21]

الفعل القولي: تضمنت هذه الآية مجموعة من الأفعال الكلامية التي تمثلت في الإخبار، والأمر والتثبت، بالإضافة إلى أفعال أخرى متضمنه في سياق هذه الآية، ابتدأت بالأخبار التي تظهر كيد اليهود، وشدة حسدهم وبغضهم للمسلمين، وذلك بأن يظهروا الشماتة بهم، ويعيروهم بهزائمهم، وبالتشفي لحالهم, وظاهر الآية ذلك بينما باطنها يكشف عن حقد اليهود والكفار على المسلمين، وتمنيهم بأن يرجعوا إلى الشرك وعبادة الأوثان؛ حسدًا من عند أنفسهم وشفقة عليهم، وهذا الفعل القولي الإخباري الصادق كشف عن ما تكنه قلوب اليهود، وبين شدة حقدهم وبغضهم للمسلمين، حين أخبرهم عن حال اليهود، وما يريدون ويتمنون للمسلمين، وقد روي "أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس و نفرًا من اليهود قالوا (لحذيفة وعمار) بعد وقعة أحد: ألم تروا ما أصابكم؟ ولو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل."[22] فنزلت هذه الآية.

أما **فعل الإسناد:** فقد أسند الكلام إلى ضمير المخاطبين، المتمثل في الضمير "الكاف" و واو الجماعة في قوله تعالى: "اعفوا واصفحوا" وهذا الخطاب الأخلاقي موجه للمؤمنين بشكل خاص، وللناس بشكل عام.

الانسجام: ظهر جليًا من خلال التماسك الدلالي بين معاني الجمل في النص القرآني، فقد حفلت هذه الآية بالعديد من أدوات الانسجام التي تمثلت في حروف العطف المتنوعة بين الواو والفاء، وأسلوب التوكيد، حيث ساعد ذلك على تقوية المعنى، وانسيابه وتكثيفه.

الفعل الكلامي المباشر: بناءً على هذا الخبر المثير للغضب؛ لأنه كشف عن نوايا اليهود وحقدهم، اقتضى المقام استعمال فعل كلامي توجيهي أمري أخلاقي، يتضمن توجيه المسلمين إلى كيفية التعامل بحكمة مع اليهود في هذا الموقف من تلك المرحلة، وتجاهلهم وعدم الرد عليهم، واقتضى الأمر أن يعطف الإنشاء على الإخبار، فأمر الله المسلمين بالعفو والصفح حين قال: ((فاعفوا واصفحوا...))؛ وهو أمر صريح ترتب على خبر سابق، وإنما أمر الله المسلمين بالعفو والصفح في هذا الموضع خاصة؛ لأن ما حُكي عن أهل الكتاب هنا مما يثير غضب المسلمين لشدة كراهيتهم للكفر، فلا جرم أن كان من يود لهم ذلك يعدونه أكبر أعدائهم، فلما كان هذا الخبر مثيرًا للغضب خيف أن يفتكوا باليهود، وذلك ما لا يريده الله منهم.[23]

الفعل المتضمن في القول: يفيد معنى التثبيت للمؤمنين أنهم على دين الحق حتى حسدهم اليهود، وهذا المعنى الضمني ناتج عن خروج الأمر عن مقتضى الظاهر، ولتقوية الفعل الإنجازي جاء بلفظة (حسدًا) منونة لتقيد التكثير أو التعظيم؛ أي حسدوكم حسدًا، وعبر بلفظ (من عند أنفسهم) أي حسدًا نابعًا من أصل نفوسهم، وفيه إشارة إلى أنه بلغ مبلغا متناهيا، وجيء فيه (بمن) الابتدائية للإشارة إلى تأصل هذا الحسد فيهم، وأكد ذلك بكلمة (عند) الدالة على الاستقرار ليزداد بيان تمكنه.[24]

وفي التأكيد بجملة التذييل فعل كلامي متضمن في القول هو: الوعد للمؤمنين بالنصرة والتمكين، وتتضمن جملة التأكيد أيضًا فعلًا كلاميًا آخر متضمنًا في القول هو: "الوعيد للكفار، وإشعارهم بالانتقام ترهيبًا لهم، ولعل في الجملة التذيلية تعليمًا للمسلمين فضيلة العفو، وقد قيل: "إن الحكمة كلها هي التشبه بالخالق قدر الطاقة البشرية."[25]

وما يعبر عن قوة الغرض الإنجازي استعمال السياق القرآني للفظتي (العفو- الصفح) "فإن العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح الإعراض وترك التثريب وهو أبلغ من العفو."[26]

وقد فرق أبو هلال العسكري بينهما فقال: "العفو يقتضي إسقاط اللوم والذم، ولا يقتضي إيجاب الثواب، ولهذا يستعمل في العبد. أما الصفح فهو التجاوز عن الذنب، وهو ترك مؤاخذة المذنب بالذنب وإن تبدى له صفحة جميلة، ولهذا يستعمل في الله تعالى."[27] وقد عقب الصفح والعفو بقوله: "حتى يأتي الله بأمره" إيذانًا لهم بأن صفحهم وعفوهم هذا ستترتب عليه أشياء كثيرة تفيدهم؛ لأنهم استمعوا لأوامر الله وتخلقوا بأخلاق الإسلام، مما دفع الكثير من أقرانهم إلى الدخول في الإسلام وانتشار دين الحق، لتقوى شكيمتهم، وتشتد عزيمتهم، ويكون

باستطاعتهم الرد عليهم؛ وذلك بانتصار هذا الدين، وإعلاء كلمة الحق، لترد شماتتهم عليهم وينقلبوا صاغرين.

الفعل التأثيري: وقد تحقق الفعل التأثيري الإقناعي الحجاجي، وحصلت القوة الإنجازية التي عادت بالنفع على المتأثرين بالدعوة والدخول في دين الله أفواجا. وللتأكيد على نفاذ أمر الله اقتضى السياق المجيء بقوله تعالى: ((إن الله على كل شيء قدير)). لتأكيد ما سبق، وفيه من المعاني الضمنية الداعمة للقوة الإنجازية للأمر السابق الشيء الكثير، ففيه إشعار بالانتقام من الكفار، حيث إن الأمر بالعفو والصفح فعل كلامي قد استوفي شروط الملاءمة، وهي شروط التحقيق الناجح للفعل. فشرط المحتوى الاقتضائي هو الأمر بالعفو والصفح عن الكفار، وهو فعل في المستقبل مطلوب من المخاطبين وهم المؤمنون، أما الشرط التمهيدي فإن المخاطبين لهم قدرة على إنجاز الفعل، وهو نوع من ضبط النفس وترك عقوبة المذنب، والصفح بالإعراض وترك التثريب واللوم، وإبداء الصفحة الجميلة، لاسيما الصفح وهو خاصية بشرية لا يستعمل في الله تعالى، والمتكلم وهو الله (عز وجل) على يقين من قدرة المخاطبين على إنجاز الفعل المأمور به، ويتأكد ذلك بشرط الإخلاص، فالمتكلم يريد حقًا من المخاطب أن ينجز هذا الفعل مع الشرط الأساسي ممثلا في محاولة المتكلم التأثير في المخاطب؛ لينجز الفعل، والمسؤول عن تحقيق معيار المطابقة هو المخاطب وهم المؤمنون، ويستمد هذا الأمر قوته الحجاجية من سلطة الأمر وهو الله (عز وجل) صاحب الأمر والنهي، ويدل على ذلك جملة من الدوال الإشارية ممثله في قوله تعالى: ((إن الله على كل شيء قدير، وحتى يأتي الله بأمره)).

الاستراتيجية الحجاجية: جمعت الآية السابقة أكثر من فعل كلامي اندرجت كلها تحت فعل كلامي جامع لها تحت ما يسمى بالبنية الحجاجية الكبرى، التي سخرت كل هذه الأفعال المباشرة والمتضمنة من وعد، وأمر، واخبار، وترهيب، وترغيب، ومواساة ....؛ لتحقيق الفعل الإنجازي المثالي، المتمثل في السير بالدعوة الإسلامية إلى بر الأمان، والنهوض بمحتواها ومضمونها، وتمثل ذلك في الفعل الجامع -فعل الأمر- الذي كون تقنية حجاجية توجيهية تقتضي عدم الالتفات إلى ما يقوله الأعداء والتركيز على تحقيق الهدف، والاعتماد في ذلك على الله، وقد عملت هذه التقنية على حث المتلقيين على المسارعة بتنفيذ الأوامر والالتزام بها، وعدم الالتفات إلى ما يقوله اليهود والكفار من تركهم للدين، وردهم عن المضي قدما بالدين الحق، وإظهاره على الدين كله ولو كره الكافرون.

وتنتمي هذه الآية في الدراسات الغربية إلى قسم الإخباريات بتعبير سيرال، وأفعال هذا المجال الإنجازي هي الأفعال التي تقوم بنقل أو وصف الواقع وصفًا أو نقلًا أمينًا، فإذا تحققت الأمانة في النقل أو الوصف فقد أنجزت الأفعال إنجازًا تامًا أو ناجحًا.[28]

حيث إن مسألة الصدق والكذب في الخبر لا تنطبق على الخطاب القرآني؛ لأن صدق الخبر القرآني من المسلمات، فالمخبر هو الله عز وجل، وهذا يضمن للفعل الكلامي أمانة الوصف والنقل، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستين، واتجاه المطابقة في مجال الإخباريات يكون من القول إلى العالم، وفي هذه الآية إخبار عن جانب من أحوال الأمم السالفة، حيث تضمن الخبر مجموعة من الأفعال الكلامية غير المباشرة اقتضتها الطبقات المقامية فمنها: الإخبار، والتقريع، والتسلية، والتوبيخ، .... "وذلك لخروج الخبر عن مقتضى الظاهر؛ ليؤدي قيمًا بلاغية، تلك القيم تستمد عناصرها دائمًا من مطابقة الكلام لحال المخاطبين."[29]

والمغزى الحجاجي من الفعل الكلامي المتمثل في قوله تعالى: ((فاعفوا واصفحوا)) اتخاذ مبدأ التسامح كأفضل علاج للتعامل مع الآخر، لأن التسامح يبعث الأمن والطمأنينة، ويساعد في نشر المحبة والسلام، ويحافظ على مبدأ السلامة الآمنة بين الطرفين، وهو دواء نافع للتخلص من التعاسة والألم.

وفي قوله تعالى: ((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)).[30] يعلم الله عباده طريقة التعامل مع الآخرين، والتخلق بأخلاق الإسلام.

حيث إن منظومة الأوامر والنواهي الشرعية في هاتين الآيتين في مجملها هي قواعد تهدف إلى تحصيل السلوك الصحيح، فالأوامر هنا تدعو إلى التمسك بالخصال الحميدة، والأخلاق الفاضلة، وترسيخها في نفوس المكلفين، وهي في نفس الوقت تدعو إلى اجتناب مساوئها، وكل ما يتنافى مع القيم الإسلامية، ذلك أن نظام التشريع كله بفرائضه، ومحرماته، ومندوباته، ومكروهاته، وآدابه، ومستحباته، إنما هو تقنين وتصريف عملي للأخلاق والقيم الأخلاقية، فالمكلف في أفعاله وتصرفاته ونياته وعباداته وعلاقاته ومعاملاته، في ظواهره وبواطنه والفقيه والمفتي... كل هؤلاء وفي كل ما يصدر عنهم لأنفسهم، أو لأحاد الناس، أو لعمومهم، يجب أن تكون الأخلاق مرجعهم ومصدرهم وميزانهم.[31]

الفعل القولي: تمثل في قوله تعالى: "((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)). وهو فعل قولي يوجه المخاطب إلى فعل الخير، والتوكل على الله وعدم الخوف من الناس؛ لأن النصر من عند الله، مع ذلك يتوجب علينا الحذر والاستعداد، وعدم التهاون بالعدو، لأن التوكل يحتاج إلى وقفة جدية مع النفس وعدم الإضرار بها.

أما فعل الإسناد: فقد أسند الكلام في هذه الآيات إلى ضمير المخاطب، حيث يريد المولى جل شأنه أن ينبهنا إلى أهمية قوة المؤمنين واستعدادهم الحربي، وفي ذات الوقت ينبهنا إلى أن لا نكون أداة للحرب والطغيان ونشر الفساد في البر والبحر، ويوجهنا أيضًا إلى

اتخاذ السلم الأداة الفعالة لنشر الإسلام، فحجته البينة تكمن في السماحة، وجذب قلوب الناس بالعفو والصفح؛ كون نشر السلم الاجتماعي هو الغاية التي يسعى إليها الدين الاسلامي.

فعل الانسجام: تعاضدت الأدوات اللغوية في سياق النص القرآني في هذه الآية، فحفلت بالضمائر العائدة على المتكلم؛ لتربط بين السابق واللاحق، وتساعد على سيرورة النص وانسجامه، وذلك باستخدام أدوات العطف الرابطة بين الجمل، فقد ربطت الفاء بين الجمل المتتابعة في النصية القرآنية للدلالة على تعاقبها في التنفيذ.

فعل الاقتضاء: اقتضت المبادرة بالسلم التوقف عن الحرب؛ حقنًا للدماء ونشرًا للأمن والسلام، بناءً على مصداقية الطرفين ليحصل النجاح، وبناءً على قبول الطرف الأول، واعتقاده بأهمية السلم لتوقف الحرب يجب على الطرف الآخر القبول؛ كون المصلحة عامة تقتضي ذلك؛ ولأن ذلك سيعود على الجميع بالنفع، وبذلك يتحقق الغرض الإنجازي للقول.

الفعل الكلامي المباشر: تمثل في الدعوة إلى نشر السماحة والسلم بين الناس، والكف عن الحرب والتشريد، نتيجة لما تحدثه الحرب من آثار على الفرد والمجتمع على المدى الطويل، ويعد هذا الفعل الكلامي من الأفعال التوجيهية التي تركز في غرضها البلاغي على النصح والإرشاد.

الفعل المتضمن في القول: يتمثل في الأخذ بالظاهر، كون ميلهم للصلح أدعى إلى نشر السلم، وفي ذلك الكف عن إزهاق أرواح الناس وتشتيتهم، حتى وإن كان صلحهم على سبيل الخداع وجب قبول ذلك، وذلك إذا كانت خيانتهم غير ظاهرة ولا يوجد ما يؤكدها، ومع ذلك اعدوا القوة وكونوا على استعداد وتأهب في حال حصول شيء من هذا القبيل.

الفعل التأثيري: يتمثل في تطبيق قواعد السلامة الاجتماعية، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، التي تتجلى في نشر قيم السلام، والمحبة، والتسامح، والحفاظ على أرواح الناس، فالمجتمع المسلم على مختلف توجهاته حاول نشر هذه القيم، وآثر السلم على الحرب، ودعا إلى الدخول في السلم كافة، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)).[32]

الاستراتيجية الحجاجية: تمثلت في أسلوب الأمر الإنشائي الطلبي التوجيهي، هذه التقنية سعت بدورها إلى إقناع المتلقي والتأثير عليه، وذلك لما للدخول في السلم من أهمية على المستوى العام، وبيان أهميته في تعميق أصر الترابط والتلاحم، والحجة الدامغة تتجلى في التوكل على الله بعد العمل بالأسباب وعدم الخوف، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وقد طمأنهم بقوله تعالى: ((فسيكفيكهم الله)).

والمغزى الحجاجي للفعل الكلامي هنا يتمثل في: المسالمة والهدنة عند رغبة الطرفين، وتلك أخلاق الإسلام ولأن الهدف العام من هذا الخطاب هو السلم وليس الحرب. وقد جاء التبرير الحجاجي ليؤكد على أهمية السلم في نشر الدعوة الإسلامية، بحيث يكثر عددهم ليكونوا قادرين على المواجهة ويعدوا لهم العدة، وما يؤكد ذلك قوله تعالى: ((وتوكل على الله)). لأنه لن يتركهم يتعرضون للمكر والخداع. ووفي قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)).[33]

يبين لنا الخطاب القرآني الأخلاق بنوعيها في الآيات المجموعة، هذه المجموعة من الأوامر الإلهية الموجهة من السلطة العليا إلى العباد، تمثلت في مجموعة من الأفعال القولية التي تحمل في طياتها مجموعة من الأخلاقيات، على مختلف الأصعدة، النفسية والاجتماعية والسياسية.

فعل القول: تمثل في مجموعة من الأقوال الصريحة، تنوعت ما بين الأمر المباشر والنهي، والتي مثلها قوله تعالى: ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)). وفي المقابل ينهى ((عن الفحشاء والمنكر والبغي)). إضافة إلى ذلك ترد الأفعال القولية الأمرية الأخرى في قوله تعالى: ((وأفوا بعهد الله)). عقبها ((لا تنقضوا الأيمان))، وختمت بأسلوب النهي في قوله تعالى: ((ولاتشتروا بعهد الله ثمنًا قليلا ....)).

فعل الإسناد: تجلى في إسناد الأمر والنهي إلى ذاته العليا ترغيبًا وترهيبًا وإجلالًا وخشية. ومنها: التصريح بلفظ الأمر والنهي، يقول: يَأْمُرُ ويَنْهَى، أو بصيغتهما أَوْفُوا ولا تَنقُضُوا، مع ما أردفه من ذكر الوعظ وهو النصيحة؛ ليحرك النفوس إلى الاستجابة تلطفًا منه -سبحانه وتعالى- في الاستدعاء.

الانسجام: إن الترابط والتناسق المتجلي في الآيات الكريمة خلق نوعًا من الانسجام القائم على التتابع الجملي المتضمن للأوامر، وسردها وتراتبها، ومن ثم عرض النواهي وتراتبها على نحو متقابل، مما أكسب النص ترابطًا وتماسكًا وانسجامًا أسلوبيًا لافتًا للانتباه، وقد أسهم التناسق الجملي في تحقيق الانسجام التركيبي؛ ليحقق نصًا إبداعيًا على المستوى اللفظي والمعنوي.

الفعل المتضمن في القول: يتحقق فعل الإنشاء في القصد المتضمن في القول إن كان نصحًا أو إرشادًا أو وعضًا أو تقويمًا أو حكمًا، والمتحقق في هذا القول هو تقديم النصح والإرشاد؛ عن طريق التكليف بواسطة أسلوب الأمر المتبوع بأسلوب النهي، فاتباع العمل بهذا الأمر مرهون باتباع الانتهاء عن ما نهى عنه، والمراد من ذلك التحذير من مخالفة ظاهر الكلام باطنه، وإلزام المخاطب وتوجيهه بمطابقة فعله قوله، وعدم النفاق في ذلك لحصول المنفعة؛ لأن النتائج المترتبة على تلك الأخلاق السيئة ستكون عواقبها وخيمة.

الفعل الكلامي المباشر: يتمثل في الدعوة إلى نشر قيم العدل، والإحسان، والوفاء بالعهود، وعدم نقضها، فهذه أربعة من أصول الأخلاق الحسنة جاءت في صورة أفعال كلامية مباشرة، تمثلت في أخلاق الخير الواردة بصيغة أسلوب الأمر، حيث أمر الله تعالى عباده أن يتخلقوا بهذه الأخلاق المتمثلة في مجموعة من القيم المتمثلة في العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد، واقترن بها أربعة أفعال كلامية مباشرة لخصت الأخلاق السيئة، ووردت بأسلوب النهي وهي: الفحشاء، والمنكر، والبغي، ونقض العهود، فهذه أربعة في مقابلة أربعة.

وقد أورد الله عز وجل هذه الألفاظ الجامعة على علمٍ وحكمة منه، فأمر بالعدل ضد الجور، أو هو بمعنى الاعتدال والتوسط الجامع لمحاسن الصفات المتعارضة.

إن المقام الحجاجي هنا مقام نصح وإرشاد، ويقصد جل جلاله من هذه الأفعال حصول تغيير في سلوك الفرد بأن يأتي الفعل التابع وهو الإحسان، فالإحسان مرتبة فوق العدل؛ إذ يراد به الفضل كأن يعفو الإنسان عن حقه، أو يأخذ دون أجره، أو يؤثر على نفسه، أو يُراد به الإتقان في سلوك الخير واختيار الأحسن من الأخلاق، ليعقبه فعل كلامي آخر تتحقق فيه قوه إنجازيه أكبر، تمثل في إيتاء ذي القربى وهو أمر على غاية الإيجاز والإعجاز، فاشتمل على كل إيتاء كالبذل المالي، والتعهد بالسؤال، والمودة، واللقاء بالبشاشة، وحسن المعاملة، وغير ذلك من ضروب العطاء المادي والمعنوي والنفسي؛ ليختم هذه الأخلاق بفعل كلامي رابع تمثل في الوفاء بالعهد، وهو خُلق أساسي من أخلاق الفرد والجماعة لا تستقيم الحياة إلا به، وفيه دلالة على الإيمان كما يدل نقيضه على الفسوق والنفاق.

وبناءً على ما سبق يتضح أن الأفعال الكلامية المباشرة في المتتالية الرباعية سعت في مقصدها أن تغير من سلوك الفرد أولا، والجماعة ثانيا، والأمة أخيرًا، ذلك الكون الجماعي القائم على تبادل المنفعة وطغيان الخير على الشر، في المقابل كان المقام يستدعي هذه الأفعال المباشرة للدفع بالمعنويات، وحث الناس على اجتناب ما يشتتهم، ويفرقهم، ويمزق شملهم؛ ليحصل التماسك والانسجام على مستوى الجماعة والأمة ليكون الفرد هو المستفيد الأكثر حظًا من ذلك.

في الجانب الآخر تأتي المتتاليات الرباعية للأفعال الكلامية المباشرة والمتمثلة في الموبقات التي نهى الله عنها (الفحشاء، والمنكر، والبغي، ونقض الأيمان والعهود)، فلم تدع من أمر القبائح شيئًا يضر الفرد أو المجتمع، وما يتعلق بالأنفس، أو بالغير أو ما يتصل بالأعراض، وما دونها مما يحرص عليه الإنسان ويتميز به عن سائر الحيوان.

فعل التأثير: يتمثل فعل التأثير في الالتزام بما أمر به الله والانتهاء عما نهى عنه، ويتضح ذلك من خلال وقوف المتلقي على معناه منفردًا؛ للحصول على مجموعة من الحجج المتوالية التي تزيد في الإيضاح، وتبلغ من التأثير حد الإقناع، فيقتدي بذلك في حياته، ويمارس ذلك عن رضا، تسليمًا واقتناعًا بما طُرح عليه، وقد طبق المؤمنون الحق هذه التعليمات الدنية الأخلاقية عن قناعة تامة، وآمنوا به، وسلموا بفحواها، فوجدناها في أفعالهم قبل أقوالهم.

الاستراتيجية الحجاجية: تتمثل في حصول الموعظة، تلك الحجة البينة الساطعة يسوقها الله في هيئة تذكير، ووعظ، وتنديد، وتخويف لهم بالالتزام بما أمر، والانتهاء عن ما نهى، عن طريق تقنية التوجيهات التي تذكرهم بعلمه المحيط، وذلك في ختامه للتوجيهات بقوله تعالى: ((وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)).

ومن الحجج المؤكدة على ذلك أن الآية الثالثة ختمت بذكر القيامة، وهذا الاستخدامُ للعقيدة كان في موطنه؛ ليصل بالتأثير إلى أعماق النفس الإنسانية، فتستشعر النصح الإلهي وتصدق به من أعماقها، وتكون في أرجى أحوالها امتثالًا واستجابة لله تعالى، ولترتفع الأخلاق إلى أعلى المراتب في استمدادها أمرًا ونهيًا من الله تعالى؛ فتحشد لها الآيات كل وسائل التأكيد والتأثير، حتى ضَرْب الأمثال رحمة منه تعالى لعباده، فقد حرص على هدايتهم، وإبعادهم عن سوء الأخلاق وسوء الأحوال، ضمانًا لاستقرارهم على وجه أكمل في الحياة. ولذلك ختمت الآيات الكريمة بهذه المعاني البينة من قوله تعالى: ((وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ الله وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)).[34]

والمعنى لا تتخذوا إيمانكم الظاهر وسيلة للغدر، والفساد، فتزلزل بذلك قيم المجتمع، وتزلزل أقدامكم، وينتابكم الشك والحيرة في علاقاتكم، وينتشر البغض والحسد والكراهية تبعًا لذلك بعد أن كانت ثابتة بثبات القيم الأخلاقية.

إن **المغزى الحجاجي** لتلك الأوامر المتتالية يتجلى في إقناع المخاطب باتباع أمهات الفضائل، التي تُعنى بالتقويمات الجوهرية، والتي تسعى بالإنسان نحو الكمال الأخلاقي، من خلال مضمونها المتميز عن طريق الوعظ الذي يحث على اتباع المصالح الجامعة لأخلاق الذات، والأخلاق الاجتماعية والدينية التي وردت في هذه الآيات.

وقد تناوبت صيغ الأمر في الخطاب القرآني؛ لإظهار سمة العدل في جميع التعاملات، والالتزام بها في الأقوال والأفعال، لما لها من قوة إنجازيه تعود بالمنفعة على الجميع، فقد وردت تلك الصيغ في مواضع مختلفة وفي مواقف متفاوتة منها: العدل في الحقوق والأموال وقد جاء ذلك قوله تعالى: ((وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ)).[35] وفي قوله: ((فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ)).[36] وشهادة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ)).[37] وهذا عدلٌ مع النفس والأولياء مهما تكن النتائج، وهو بذاته العدل الذي أمرنا به سبحانه وتعالى حتى مع الخصوم والأعداء، وجعله من صميم الدين والعبادة، فهذه الحجج المنطقية توضح كيفية التخلق بخلق الإسلام، واتخاذ اللازم في الحفاظ على الحقوق من الضياع، تلك الأخلاق السامية المتمثلة في التعامل بالحسنى مع الغير، وضمان أحقيته وفق ميزان التقوى كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)).[38] فقد حرص القرآن الكريم على أخلاقية التقوى، وعدها المعيار الأمثل لقياس السلوكيات الإيجابية عند الأفراد والجماعات، فقرنها بمواقف أخلاقية في مواضع شتى، منها قوله تعالى في معاهدات الهدنة والصلح: ((إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ثُم لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)).[39]

فعل القول: يتجلى في قوله تعالى((فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ.....)). وهو فعل إنشائي طلبي.

الفعل الإسنادي: تمثل في ضمير المخاطب الجمعي حيث أسند الفعل الكلامي إلى المسلمين كونهم المعنيين بالخطاب.

بينما تمثل **فعل الانسجام** في: الضمائر المتصلة والمنفصلة التي ساعدت على التتابعية النصية للخطاب القرآني، وربطت البنى الصغرى بالبنى الكبرى، عن طريق التتابع المتوالي لحروف العطف المتنوعة بين الواو، وثم، والفاء، بالإضافة إلى التوكيد على ذلك، والذي ختمت به الآية لبيان أهمية الوفاء بالعهود في نشر الإسلام وتوطيد عرى الأخلاق في نفوس الناس.

الفعل المتضمن في القول: تمثل في الوثوق بالغير، وإظهار حسن الظن، وقبول الظاهر من الأفعال؛ لأن الله تعالى هو الأعلم بما تخفيه الصدور، وفيه توجيه عن عدم نقض العهود، وإن كانت المعاهدة مع الكفار، وهذا ينطبق حتى مع الأعداء أو من لا تأمنوا مكرهم فالعهد يلزم الوفاء به ولو كان مع ألد الأعداء.

الفعل الكلامي المباشر: ظهر جليًا في الدعوة إلى الوفاء بالعهود، والالتزام بتقوى الله في تحقيقها، بحسب المدة الموثّقة بين الطرفين، وعدم نقضها قبل انتهائها؛ لئلا تقام الحجة على الطرف الآخر.

الفعل التأثيري: إن حصول التأثير يتوجب الوفاء بالعهود، وأخلاق المؤمن الحق تتمثل في التخلق بخلق القرآن والنأي بنفسه عن اجتراح الإثم؛ لأن سوء الخُلق قد يترتب عليه تبعات لا يحمد عقباها، وختام الآية الكريمة مؤذن بأن الوفاء بالعهود ولو مع المشركين من أسس التقوى المستوجبة لحب الله - تبارك وتعالى- وحب الناس أيضًا فهذه كلها أعمال خُلقية، تدخل في جميع جوانب الحياة، ويرتقي بها الوحي الإلهي إلى ذروة متفردة، حين يجعلها من الدين والعبادة ومحل الثواب والعقاب عند المخالفة.

الاستراتيجية الحجاجية: تمثلت في تقنية النصح والإرشاد والوفاء بالعهود، كون إتمام العهود وعدم نقضها تعود على صاحبها بالنفع، لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة والنقض، ولأن المشركين يعرفون بنقضهم للعهود التي تبرأ من فعلها الله ورسوله، وتلك حجة عليهم، فلا تنقضوا عهودكم، فتكونوا مثلهم فتقع عليكم الحجة في نقضكم للعهود، وعدم الوفاء بها، فتسيئوا بذلك للإسلام.

إن **المغزى الحجاجي** يتمثل في: وجود حجة التعليل بالنقض، وقد أمر الله تعالى عباده بالوفاء بالعهود وعدم نقضها صيانة لحقوق الخلق، ومصالحهم، ومراعاة لعدم فقد الثقة فيما بينهم، وما يتضمنه ذلك من نتائج سلبية مترتبة على ذلك، لأن تلك الأخلاق الفاسدة تولد قسوة القلب، وفيه تحذير لهم وتقريع ونصح وتوصية.

وفي قوله تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا، وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا)).[40]

حديث عن مجموعة من القيم الأخلاقية الحجاجية التي تمثلت في طاعة الوالدين، والإحسان إليهما وعدم التأفف، والتضجر منهما، في حال أصاب أحدهما الكبر والضعف والخور، كونهما الأحق بالرعاية والاهتمام من قبل الأبناء؛ عوضًا عن صنيعهما ورعايتهما للأبناء حتى الكبر.

وقد تمثل **الفعل القولي** في: مجموعة من الأفعال الكلامية المتتالية والموضحة بقوله تعالى: ((فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ

الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)). وقُرنت الأفعال الأولى بأفعال بر أخرى ارتبطت بالسياق ارتباطًا مباشرًا تمثلت في قوله تعالى: ((وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا)).

فعل الإسناد: أسند الكلام إلى ضمير المخاطب الفرد لأن كل شخص مسؤول عن والديه، ومخول بطاعتهما وهذا التوجيه يحتم على كل فرد في المجتمع المسلم أن يبر بوالديه، ويتذلل لهما؛ فهما السبب في وجوده ووصوله إلى هذه المرحلة بعد الله سبحانه وتعالى، لذلك نجد أن معظم الآيات الواردة في النص القرآني اقترنت فيها طاعة الله بطاعة الوالدين.[41]

فعل الانسجام: تجلى الانسجام النصي في تلك الآيات من خلال الترابط القائم بين الجمل والفقرات والتراكيب، وقد كان للضمائر المتصلة الدور الأكبر في حصول هذا التناغم والترابط، بالإضافة إلى حروف العطف الرابطة بين الجمل، والتي كان لها النصيب الأوفر في ربط البنى الكبرى في السياق القرآني بالبنى الصغرى؛ لتصنع نصًا جماليًا أخاذًا اتسعت فيه العاطفة واشتمل على مجموعة من القيم النبيلة التي تجلت في مجموع التوجيهات الأخلاقية في الآية موضع الشاهد.

الفعل الكلامي المباشر: تمثل في الدعوة إلى الإحسان للوالدين، وتوقيرهما وطاعتهما في كل الأحوال ماعدا الإشراك بالله.[42] وذلك يقتضي النفقة عليهما كونهما أقرب المقربين، فطاعة الوالدين من طاعته سبحانه، وعصيانهما يوجب غضب الله والملائكة والناس أجمعين.

الفعل المتضمن في القول: يتضمن أحقية الوالدين بالبر والإحسان، فهما الأحوج إلى وجودك بجانبهما، كون بعدك عنهما يؤثر فيهما ويجعلها في حالة يرثى لها، فيشعران بالوحدة والشتات، فوقوفك بجانبهما ورعايتك لهما يعد ذخرًا لهما ومالًا وعتادًا وسندًا في الحياة، خاصة في حال ضعفهما وحاجتهما.

فعل التأثير: تمثل في العمل بهذه التوجيهات والامتثال لها، هذا الامتثال ظهر في سلوك المؤمن نحو والديه، وعنايته بهما، وقناعته التامة بأهمية هذه التوجيهات الربانية، وقد ظهر ذلك جليًا في تعامل المؤمنين مع آبائهم وأمهاتهم، وخوفهم من الشقاء في الدارين نتيجة عصيانهم، وإن ظهرت بعض الحالات من العصيان في مجتمعنا المعاصر، إنما تدل على تهتك تلك القيم، وعدم الانصياع لأوامر الله واجتناب نواهيه، وذلك ليس من الدين وأخلاقياته في شيء.

أما **الاستراتيجية الحجاجية**: فتجلت في إشعار المتلقي بأهمية هذا الأمر المقتضي؛ لوجوب الإحسان إلى الوالدين، وهذا الإقناع الإيجابي يقود المتلقي إلى الرضا والقبول

والخضوع والاستسلام؛ لأن الحجاج في هذه الآية بُني على حصول مكاسب مشتركة، تجلت في استمرار الإحسان للوالدين على مر الأزمان والعصور، وهذه المكاسب المادية والمعنوية تعود على الأسرة بالخير والنفع.

إن **المغزى الحجاجي** يتمثل في: الحث على السلوك الأخلاقي الذي يضع الأبناء تحت هذه القاعدة العريضة من مكارم الأخلاق، وقد عبر عنه الخطاب القرآني" بقضى" لإلزام الإنسان به، وهو من باب الوفاء ورد الجميل، وذلك يؤدي إلى استمرار تبادل الإحسان والطاعة على مدى الأجيال المتتابعة، هذا الدور الإيجابي الذي يقوم به الأبناء يعود عليهم فينتهج أولادهم نهجهم في الطاعة والعصيان.

ختامًا: يتضح أن أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم يعد من الأساليب الحجاجية المؤثرة والداحضة للسلوكيات السيئة واستبدالها بالحسنة، وهو أسلوب حجاجي يقوم على استحضار المتلقي ليقبل عليه إقبال المنصت المستمع لما يطرح عليه، لأهمية هذا الخطاب؛ كونه يشحذ همة المتلقي ويحفزه ويثير انتباهه فيجعله منخرطًا في منظومة قيمية دينية قوامها الامتثال لله تعالى، والالتزام بأوامره.

وهو أسلوب يحمل تقنية حجاجية قادرة على جذب انتباه المتلقي، وإثارته، فالمتكلم قد صاغ خطابه ليوجه المتلقي الوجهة التي يراها، وهو أيضًا أسلوب تربوي مقترن بتحقيق أهداف وغايات دينية وأخلاقية، وقد جيء به في الخطاب الأخلاقي القرآني على سبيل النصح والإرشاد؛ والتوبيخ، والتقريع، والتوجيه، كما جاء للتحذير من مغبة الوقوع في المحظور؛ نتيجة للعواقب الوخيمة التي قد تقع على عاتق المتلقي، وقد قام هذا الأسلوب على ثنائية تتمثل الأولى في: الحث بالقيام على فعل أخلاقي، أما الثانية؛ فتحذر من القيام بتلك الأفعال.

نتائـــج البحث:

نحمد الله تعالى حتى يبلغ الحمد منتهاه، ونشكره على فضله وإحسانه، وما من به علينا من إنجاز لهذا البحث، وخروجه على النحو الأمثل، وقد توصل البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

1. يعد أسلوب الأمر من أهم الأفعال الكلامية التي ترتبت عليها السلوكيات الأخلاقية في القرآن، لتثبيت منهجية الدعوة الإسلامية؛ كونه الموجه والمرشد لفعل شيء ما أو تركه، ويجب على كل مؤمن العمل بما فيه.
2. حفل أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم بالعديد من المواعظ والنصائح القيمة، التي ساعدت في تكوين الأفعال الإنجازية، والتي تحققت على أرض الواقع وظهرت في أفعال المتلقي وسلوكه.
3. تميز أسلوب الأمر بتقديم الأدلة العقلية والعاطفية المقنعة، والتي هدفت في مضمونها إلى إثبات صحة المواقف والمناسبات المقصودة من وراء التوجيهات، إذ استمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الآمر، بالإضافة إلى طريقة عرض الحجة من ذات الصيغة في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم كون الموجه هو الخالق عز وجل.
4. تنوعت صيغ الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم بحسب المقامات المختلفة، وجمعت بين التصوير والحقيقة؛ لتقريب التوجيهات إلى المتلقي وإثارة انتباهه نحو قضية من القضايا أو أمر من الأمور المراد الالتزام بها.
5. يعد أسلوب الأمر تقنية حجاجية توجيهية؛ لأن قبول المتلقي لهذه الأوامر والتزامه بها يعد اقتناعًا منه بأهميتها، كون الاقتناع يعتمد على ما هو عقلي أكثر من اعتماده على العاطفة، وقد وجه هذا الأسلوب في معظم صيغه الأخلاقية إلى الجمهور الخاص وهم عامة المؤمنين.
6. يعد أسلوب الأمر من الأساليب الإرشادية الموجهة إلى فئة خاصة هم المتبعون للرسل، والمؤمنون بما أُنزل من القرآن، وتكمن حجاجيته في دوره التأثيري على المتلقي وطريقته الإقناعية في التمهيد للقضايا قبل التوجيه، وإلزام المتلقي بما يلقى عليه؛ للوصول إلى القناعة التامة بأهمية تلك التوجيهات في حياته والآثار المترتبة عليها.
7. ارتبط الحجاج التوجيهي لأسلوب الأمر بتعليم الناس مجموعة من الأخلاق الفاضلة؛ لخلق التعايش السلمي المبني على المنفعة، وإعداده لحياة أفضل من خلال الحث على التأزر ونبذ الكراهية والحقد والتسبب في الضرر للآخر، وكل ما يؤدي إلى تهتك أواصر المجتمع؛ وذلك بواسطة القيام بالأفعال الإنجازية للنهوض بالمجتمعات وإصلاحها.

8. ساهم أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم في خلق منهج مناسب لتربية الفرد وإرشاده، وتوجيهه التوجيه الأمثل، وذلك من خلال صقل شخصيته والنهوض بسلوكه، من خلال شحذ النفوس وتحريك الهمم لاتباع الأخلاق الحميدة في التعامل مع الآخر لكسب ودهم، وتغيير مواقفهم وقناعاتهم الخاصة لتغيير السلوكيات السلبية المدمرة للفرد والمجتمع.
9. إن نجاح أسلوب الأمر في حجاجيته في القرآن يرجع إلى قصدية التأثير في المتلقي، من خلال دفعه إلى التحلي بمجموعة من السلوكيات الأخلاقية، وقد برز ذلك من خلال مراعاته للمقام واعتماده على المواعظ المقنعة التي تهدف إلى إصلاح المتلقي، حيث إن تأثير سلطة الأخلاق أشد وقعًا وأثرًا على النفس من غيرها.
10. تنوع الأفعال الأمرية في الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم، حيث بينت المراد من الخطاب الأخلاقي في تزكية النفس وتطهيرها والسمو بها من خلال ربطها مع بعدها التأثيري.
11. أسهم فعل الأمر التوجيهي من خلال دلالاته المتعددة بتأكيد الحجة والبرهان؛ عن طريق البعد التأثيري فضلاً عن قوّة الفعل الإنجازي من خلال الوصل بين الفعلين المتجاورين.

الهوامش:

1زياد، فوزية: من الفعل الكلامي إلى الفعل الحجاجي، ***مجلة الإشعاع***، الجزائر، جامعة وهران، العدد (12)، 2014م، ص 245.

2عيدة، ناغش: **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين، رسالة ماجستير**، كلية الآداب، جامعة مولود معمري- تيزي وزر، الجزائر،2012م، ص 101.

3 المرجع نفسه، ص 79.

4 بودرع، عبد الرحمن: **في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي ونماذج من الواقع العربي المعاصر**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015م، ص25.

5الدهري، أمينة: **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، المغرب 2011م، ص80.

6 ديكرو، أزوالد، وسشايفر، جان ماري: **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**، ط2، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2007 م، ص 692.

7 سورة الأعراف، الآية: 199.

8 العلوي، يحيى بن حمزة: **الطراز**، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، 2002م، ج3، ص228.

9 نحلة، محمود، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر2002م، ص40-50.

10 الزنار، الأزهر: **دروس في البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة)**، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان1992م، ص105.

11 الجواري، أحمد عبد الستار، **نحو الفعل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2006م، ص59.

12 سورة الحج، الآية: 30.

13 سورة التوبة، الآية: 53.
14 نحلة، محمد أحمد: **أفاق جديدة في البحث اللغوي**، ص79.
15 الدريدي، سامية: **الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه**، عالم الكتب الحديث، تونس، 2011م، ص 147.
16 الطوسي، محمد بن حسن: **التبيان في تفسير القرآن**، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الأعلام الإسلامي، خرسان، إيران، 1409ه، مج 5، ص 100.
17 المتوكل، أحمد: **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي**، الدار البيضاء للطباعة والنشر، المغرب، 1986م، ص174-178.
18سعد، محمود توفيق محمد: **صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم**، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، 2012م، ص9.
19 الطبطبائي، طالب سيد هاشم: **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغين العرب**، جامعة الكويت، الكو،1994م، ص32.
20 سورة لقمان، الآية: 19.
21 سورة البقرة، الآية: 109.
22 الرازي، فخر الدين الرازي: **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1981م، ج2، ص256.
23الطاهر، محمد بن عاشور: **التحرير والتنوير**، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص670-671.
24الألوسي، شهاب الدين: **روح المعاني**: تح: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه، ج1، ص494.
25 الطاهر، محمد بن عاشور: **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج1، ص 671.
26 الأصفهاني، الراغب: **مفردات ألفاظ القرآن**، ط3، دار القلم، 1948م، دمشق، سوريا، ص486.
27 العسكري، الحسن بن عبد الله: **الفروق اللغوية**، ط9، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1991م، ص195.
28نحلة، محمود: **أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**،2002م، ص103.
29 عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 2009م، ص52.
30 سورة الأنفال: الآية: 62،61.
31 الريسوني، أحمد: **الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية**، دار السلام، القاهرة، مصر2010م، 1431هـ، ص 118-119.
32 سورة البقرة: الآية 208.
33 سورة النحل: الآيات 90-19.
34 سورة النحل: الآية: 94.
35 سورة البقرة: الآية: 282.
36 سورة البقرة: الآية: 282.
37 سورة النساء: الآية: 135.
38 سورة المائدة: الآية: 8.
39 سورة التوبة: الآية: 4.
40 سورة الإسراء: الآية: 23-28.
41وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ، سورة البقرة: الآية: 83.
42 وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سورة العنكبوت، الآية: 8.

قائمة المصادر والمراجع:

المصدر: القرآن الكريم مشكولًا برواية حفص.

المراجع:

- الأصفهاني، الحسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق- سوريا، 1412هـ.
- الألوسي، شهاب الدين: **روح المعاني**، تح: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1415هـ.
- بودرع، عبد الرحمن: **في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي ونماذج من الواقع العربي المعاصر**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015م.
- الجواري، أحمد عبد الستار: **نحو الفعل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر**، بيروت- لبنان، 2006م.
- الدريدي، سامية: **الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه**، عالم الكتب الحديث، تونس، 2011م.
- الدهري، أمينة: **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، مكتبة المدارس الدار البيضاء، المغرب،2011م.
- ديكرو، أزوالد، وسشايفر جون ماري: **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**، ط2، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، 2007م.
- الرازي، فخر الدين الرازي: **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، دمشق- سوريا ،1981م.
- الريسوني، أحمد: **الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية**، دار السلام، القاهرة- مصر، 2010م، 1431هـ.
- الزنار، الأزهر: **دروس في البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة)**، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، 1992م.
- زياد، فوزية: من الفعل الكلامي إلى الفعل الحجاجي، ***مجلة الإشعاع***، الجزائر، جامعة وهران، ع12، 2014م، ص 245.
- سعد، محمود توفيق محمد: **صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم**، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، 1993م.
- الطاهر، محمد بن عاشور: **التحرير والتنوير**، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1948م.
- الطبطبائي، طالب سيد هاشم: **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغين العرب**، جامعة الكويت، الكويت، 1994م.
- الطوسي، محمد بن حسن: **التبيان في تفسير القرآن**، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الأعلام الإسلامي، خرسان، إيران، 1409هـ.
- عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، 2009م.
- العسكري، الحسن بن عبد الله: **الفروق اللغوية**، ط9، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1991م.

– العلوي، يحيى بن حمزة: **الطراز**: تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، 2002م.
– عيدة، ناغش: **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين**، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري- تيزي وزر، الجزائر، 2012م.
– المتوكل، أحمد: **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي**، الدار البيضاء للطباعة والنشر، المغرب، 1986م.
– نحلة، محمد أحمد: **أفاق جديدة في البحث اللغوي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م.